

مستوى الأداء اللغوي في التعليم العام والجامعي
لدى الطلاب والمدرسين

إعداد

الأستاذ الدكتور محمود السيد

مستوى الأداء اللغوي في التعليم العام والجامعي

لدى الطلاب والمدرسين

أ.د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الأداء اللغوي والأهداف المرسومة له في العملية التعليمية التعلمية، والشكوى من تدني مستواه لدى المتعلمين تلامذة وطلاباً، ولدى المعلمين إن في التعليم العام، وإن لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات، ومن ثمّ نسلط الأضواء على أسباب هذا التدني، ونحدد بعض الصوى للارتقاء بواقع الأداء اللغوي.

أولاً- مدخل تعريفى

الأداء لغة من الفعل «أَدَى»، وأداه أدياً بمعنى قضاه، وأدّى الشيء بمعنى قام به، وتأدّى الأمر بمعنى أنجز، والاسم هو الأداء، والأداء هو الإنجاز.^(١)

والأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية هو الإنجاز، وقد يكون هذا الإنجاز ذا مستوى جيّد، أو يكون غير ذلك، إلا أن التربية المعاصرة تختلف في نظرتها إلى اكتساب اللغة عن نظرة التربية التقليدية التي كانت ترى أن اللغة ما هي إلا مجموعة من الحقائق والقواعد والقوانين والأحكام، وأن على المعلمين أن يلقّنها للمتعلمين تلقيناً، وما على المتعلمين إلا أن يحفظوها ويستظهروها عن ظهر قلب، وبقدر درجة حفظهم لها يعدون متمكنين من اللغة، وينظر إلى أدائهم اللغوي على أنه أداء جيّد. في حين أن التربية المعاصرة تركز على التمهير أي التجلية والأداء المتقن لا على التحفيظ والتسميع، والمهارة هي الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والمجهود معاً، والسرعة في الإنجاز إلى جانب الدقة والإتقان فيه.^(٢)

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة- المعجم الوسيط- الجزء الأول- الطبعة الثالثة- القاهرة ص ١٠.

(2) R.L.Lyman. Summary of investigations relation to grammar language and composition supplementary. Education monographs u Chicagos- illinois P.13.

والمهارات اللغوية نوعان: مهارات إرسال، وتمثل في المحادثة والكتابة، ومهارات استقبال، وتمثل في الاستماع والقراءة.

ولا تتكون المهارة اللغوية إلا بالممارسة والتكرار على أن تكون الممارسة مبنية على الفهم وإدراك العلاقات والنتائج، ومبنية على التوجيه من جانب، والتعزيز من جانب آخر، وتوفر القدوة الحسنة.

ثانياً- الأهداف المرسومة للأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية

ثمة أهداف مشتركة للأداء اللغوي في جميع مراحل العملية التعليمية التعلمية، وأهداف تختلف بين المراحل في ضوء النمو الفكري للمتعلمين، وتتلخص الأهداف التي نبتغيها من تعليم اللغة وتعلمها في الآتي: (٣)

١- أن يكتسب المتعلم مهارات استعمال اللغة العربية استعمالاً ناجحاً في الاتصال بغيره محادثة وكتابة وقراءة واستماعاً.

٢- أن يكتسب مهارات القراءة الجهرية تعرفاً للحروف والكلمات والنطق بها صحيحة، وفهم المعاني وتمثل القيم والاتجاهات الواردة في المادة المقروءة، والتفاعل مع المقروء.

٣- أن يكتسب مهارات القراءة الصامتة فهماً واستنتاجاً وتمييزاً وتحليلاً وموازنة ونقداً وتقويماً.

٤- أن يكتسب مهارات الاستماع فهماً دقيقاً لما يقال، واستنتاجاً لما يود المتحدث قوله، وما يهدف إليه، وتحليلاً لكلامه، وتلخيصاً لفكره، ونقداً لها.

٥- أن يكتسب مهارات التعبير الوظيفي لقضاء حاجاته، وتنفيذ متطلباته في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه من كتابة رسائل، وإعداد محاضر جلسات، وكتابة مذكرات، وإلقاء كلمات في المناسبات... الخ.

(٣) الدكتور محمود السيد- في الأداء اللغوي- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠٠٥ ص ٩٠.

- ٦- أن يكتسب مهارات التعبير عن نفسه ميولاً واتجاهات وقيماً وتطلعات ومعاناة.. الخ، وعمّا يقع تحت حسه كلاماً وكتابة في أسلوب واضح ومنظم.
- ٧- أن يكتب كتابة صحيحة بأسلوب سليم خال من الأخطاء الإملائية والنحوية.
- ٨- أن يعبر شفاهياً عن فكره وحاجاته واهتماماته وميوله ورغباته تعبيراً سليماً خالياً من الأخطاء.
- ٩- أن يكتسب مهارات التذوق الأدبي، وإدراك الجمال والتناسق في النصوص الأدبية التي يتفاعل معها.
- ١٠- أن يكتسب عادة الإقبال على القراءة الحرة بشغف ومحبة حتى يغدو الكتاب صديقه الذي لا يمل مصاحبته.
- ١١- أن يكتسب عادة البحث عن الكلمات والتفتيش عنها في المعاجم والموسوعات بحثاً عن معانيها واستعمالاتها الحرفية والمجازية والاصطلاحية.
- ١٢- أن يوظف ما يحصل عليه، ويكتسبه من مفردات وتراكيب وفكر وقيم واتجاهات وصور وأخيلة وأساليب من قراءاته في مواقف التعبير الشفاهي والكتابي.
- ١٣- أن يكون قادراً على اختيار المادة الصالحة للقراءة، والتمييز بين الخبرتين المربية وغير المربية، وبين الغث والسمين.
- وتجدر الإشارة إلى أن التركيز على الأهداف في المرحلة الثانوية لا يقل أهمية عن الأهداف في مرحلة التعليم الأساسي لأن ثمة شريحة من خريجي هذه المرحلة قد لا يتابعون دراستهم الجامعية، وبناء على ذلك كان لابد من توسيع دائرة اكتساب مهاراتهم اللغوية، وقدرتهم على القراءة الناقدة، وميلهم ومحبتهم للقراءة، وشغفهم بها، وقدرتهم على انتقاء المادة الصالحة للقراءة، وعلى تتبع ما يستمعون إليه فهماً ونقداً وتوظيفاً، وقدرتهم على فهم النصوص الأدبية، وإدراك نواحي الجمال فيها، وعلى تذوقها وتحليلها ونقدها، وقدرتهم على التعبير الوظيفي والإبداعي، وقدرتهم على البحث، وتقصي- المسائل، واستخدام المراجع، والاتصال بالتراث الأدبي في عصوره المختلفة، وكتابة نصوص متكاملة... الخ.

وتتسع دوائر الاكتساب والقدرات في المرحلة الجامعية، ولا بدّ لنا أن نقف على مستوى الأداء اللغوي لدى المتعلمين في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، وفي مرحلة التعليم الجامعي.

ثالثاً- الشكوى من تدني مستوى الأداء لدى المتعلمين في

التعليم ما قبل الجامعي والجامعي

لم تكن الشكوى من تدني مستوى الأداء لدى المتعلمين مقتصرة على حاضرنا، وإنما ألفيناها تنطلق منذ ثلاثينيات القرن الماضي - فيما نعلم-، فهذا هو ذا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين يقول في كتابه «في الأدب الجاهلي»: «إنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية، وأن تطلب إليهم أن يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور وإحساس أو عاطفة أو رأي، فلن تظفر منهم بشيء، ولن تظفر من أكثرهم بشيء، فإن وجدت عند بعضهم شيئاً، فليس هو مديناً به للمدرسة، وإنما هو مدين به للصحف والمجلات والأندية السياسية والأدبية».^(٤)

وفي الخمسينيات يرتفع من مصر أيضاً صوت أمين الخولي شاكياً تدني مستوى الأداء، إذ يقول: «امض قدماً في مراحل التعليم لمن تهبأ لهم السير فيها، فإذا تعليم اللغة القومية غير موفق، وإذا أدبها غير محبب، وإذا النشء يذهب هواه بدداً في آداب لغات أخرى إن قرأ، وإذا هو لا يرقى له وجدان إذا ما أعوزته الملهات الفنية، ومن هذا يكون الركود الأدبي، وتكون أزمة الفن القومي في نواحيه الفنية والعلمية، فللمسرح أزمة، وللصحافة أزمة، وللإذاعة أزمة، ولكذا وكيت أزمات لغوية كلها لا غير، ولهذا وما أشير إليه أشد الأثر في عجز الأمة عن أن تركز عواطف أفرادها، وتجمع قلوب أبنائها، وتوجه هواهم إلى الأمل الموحد والفعل المشترك».^(٥)

(٤) الدكتور طه حسين- في الأدب الجاهلي- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٣٧ ص ٢٣.
(٥) أمين الخولي- محاضرات من مشكلات حياتنا اللغوية- معهد الدراسات العربية- القاهرة ١٩٥٨ ص ٦.

وتحذو الدكتورة «بنت الشاطيء» حذو الخولي في الإشارة إلى عدم تمكن المتعلمين المتخرجين من كتابة خطاب بسيط، ومعاناتهم عدم القدرة على التعبير السليم، فهذا هي ذي تقول: «الظاهرة الخطرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية ازداد جهلاً بها، ونفوراً منها، وصدوداً عنها. وقد يمضي- في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط، فيتخرج في الجامعة، وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويعينه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان قومه ومادة تخصصه. كل درس تلقاه أبناؤنا في لغتهم العربية ينأى بهم عنها، ونرى اللغات الأخرى يتعلمها أبناؤها في مدارسهم العامة، فيكسبون من كل درس معرفة جديدة بأسرار لغتهم».^(٦)

ولم تقتصر الشكوى على قطر عربي دون آخر، فهذا هي ذي صيحة الدكتور «هادي نهر» تنطلق في ندوة اللسانيات واللغة العربية التي عقدت في تونس سنة ١٩٧٨ لتشير إلى أن «لغتنا العربية اليوم كمئذنة يلفها الغبار، فالناطقون يضيقون بها، ويهربون من قواعدها وتراكيبها، بل إن بعض المتعلمين العرب لا يعرفون تركيب جملة عربية سليمة السكتات والحركات، والأنكى من ذلك أننا نرى بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية وآدابها لا يدركون فصاحة القول، ولسانهم يلحن، ومعارفهم اللغوية على كل المستويات لا تتناسب وشهادتهم الجامعية».^(٧)

ومن العراق نجد صيحة «الدكتور مهدي المخزومي» تشير إلى أن «هنالك شكوى عامة من تدريس العربية، وبرم الطلبة في مراحل الدراسة المختلفة بالدرس النحوي

(٦) الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطيء»- **لغتنا والحياة**- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٧١ ص ١٧١.

(٧) الدكتور هادي نهر- **أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية**- الجامعة التونسية- تونس- ديسمبر ١٩٧٨ ص ١٢٢.

واستثقالهم ظلّه وظلّ القائمين على تدريسه، وإخفاق الطلبة، حتى المتخرجين منهم في أن يفهموا نصاً أدبياً أو لغوياً، وفي أن يؤلّفوا جملة عربية سليمة».^(٨)

ويرى «الدكتور حسام الخطيب» في المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب الذي عقد في الخرطوم أن الإنسان ليس بحاجة إلى روائز تربوية أو إحصاءات لكي يستنتج أن سوية تعليم اللغة العربية في انحدار مستمر».^(٩)

وهكذا نرى أن الشكوى من تدني مستوى الأداء في اللغة العربية تناولت التعليم الجامعي وما قبله. ولم تكن الشكوى لتقتصر على الإشارة إلى الأخطاء اللغوية في التعبيرين الشفاهي والكتابي، وإنما كانت تشير إلى الارتباك في تناول ضروب التعبير الوظيفي من إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، أو إعداد تقارير عن محاضر الجلسات، أو تقديم طلب إلى إحدى الدوائر والمؤسسات... الخ.

يضاف إلى ذلك كله ما يلاحظ من فقر في الرصيد الحفظي للشواهد الشعرية والنثرية لدى حملة الإجازة في اللغة العربية، ومن قصور بعضهم في التفتيش عن كلمة في المعجم، والعزوف عن القراءة الحرة في الأعم الأغلب، والقصور في تمثل ما تشتمل عليه النصوص التي يستمعون إليها من جهة من معان ومفاهيم، أو النصوص التي يقرؤونها أيضاً من جهة أخرى.

رابعاً- الشكوى من تدني مستوى أداء المعلمين في التعليم ما قبل الجامعي،

ومستوى أعضاء الهيئة التدريسية في التعليم الجامعي

لم تكن اللغة العربية على ألسنة المعلمين وأقلامهم في التعليم ما قبل الجامعي، وعلى ألسنة أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد لتسم بالسلامة والصحة وجودة العملية التعليمية التعليمية أحياناً، فلنستمع إلى ما يقوله أمين الخولي في هذا الصدد: «حدّق

(٨) الدكتور مهدي المخزومي- نحو لغة عربية سليمة- وزارة الثقافة بالعراق- بغداد ١٩٧٨ ص ٨٢.

(٩) الدكتور حسام الخطيب- اتحاد المعلمين العرب- المؤتمر التاسع- الخرطوم ١٩٧٦ ص ٥٥٨.

في المدارس والتعليم فيها، أولئك المدرسون للمواد المختلفة لا يحسنون لغتهم، ولا يحسنون الإبانة، إنهم عوام في شرحهم وتلقينهم، وهم أشباه عوام في تأليفهم وعرضهم، وهم لا يُلقون لتلاميذهم وطلابهم حقائق نيّرة بيّنة، وليس ذلك فحسب، بل هم يرمون باللغة، ويتأففون ممن يرجو لديهم بياناً بها أو صحة تعبير، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة القومية، إن لم نقل احتقارها». (١٠)

وتعزز هذه النظرة بنت الشاطي في كتابها «لغتنا والحياة»، إذ تقول: «ونسبع أساتذة كباراً يحاضرون العربية أو يلقون أحاديث في أندية ثقافية، وتقرأ لهم ما يكتبون من بحوث ومقالات، فندرك ما يعانون من إحساس باهظ بمقدرة اللغة التي ترهقهم بالشعور بأنهم لا يملكون أداة التعبير السليم الطلق عن آرائهم وأفكارهم». (١١)

وطالما لا حظنا في دروس التربية العملية في مدارسنا في التعليمين الأساسي والثانوي شرح الدروس بالعامية أحياناً وبالهجين اللغوي أحياناً أخرى، وروى لنا عميد كلية التربية في جامعة المنصورة بجمهورية مصر- العربية أن مدرسة التربية الإسلامية كانت تشرح لطلباتها في الثانوي موضوع الهجرة النبوية، فاستعملت العامية والهجين اللغوي في شرح درسها.

وكان مدرس رياضيات يشرح الدرس قائلاً بالعامية: «إذا خدنا هالنجتوتة وحتيناها عهالنجتوتة»، وكان يقصد: إذا أخذنا هذه الزاوية ووضعناها على هذه الزاوية.

وما أزال أتذكر تصحيح إحدى المعلمات في مدرسة التطبيقات بدمشق لإجابة أحد المتعلمين في صفها عندما طلبت إليه أن يستخرج الأفعال الماضية والمضارعة من النص، فأشار إلى فعل «أرسل» على أنه فعل ماضٍ، فما كان من المعلمة إلا أن انتفضت قائلة له: «هذا خطأ، هذا فعل مضارع، ألا تجد فيه أحد أحرف أنيت؟».

(١٠) أمين الخولي- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية- معهد الدراسات العربية- القاهرة ١٩٥٨ ص ٦.

(١١) الدكتورة بنت الشاطي- لغتنا والحياة- مرجع سابق ص ١٩١.

وإذا انتقلنا إلى التعليم الجامعي، فإننا نلاحظ غياب التدريس باللغة العربية، اللغة الأم، في أغلب الجامعات العربية، إن في جامعات دول الخليج العربي، أو في جامعات دول المغرب العربي. أما في الدول العربية الأخرى فلنستمع إلى ما يقوله الدكتور «عبد الصبور شاهين» في مصر إذ يشير إلى «أن مأساة اللغة العربية بوضوح إذا ما رأينا أن العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالهندسة والطب والصيدلة والطبابة والرياضيات كلها تدرّس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا، لأن اللغة العربية عاجزة عن تمثيل حقائقها ومصطلحاتها تمثيلاً ما، بل لأن هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل المعارف الحديثة، ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان عربيين». (١٢)

وإذا وقفنا على مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية، فإننا نجد هجيناً لغوياً في هذه المناقشات، وإلى هذا أشار الدكتور شاهين قائلاً: «ولقد حضرت أخيراً مناقشة لرسالة في عالم الطفيليات لنيل درجة الدكتوراه كانت نموذجاً للمأساة التي نعيشها نحن في الوطن العربي، ومعبرة عن التمزق العميق في أعلى مستويات البحث العلمي الحضاري، الرسالة محررة بالإنجليزية، وقدمت الطالبة ملخصاً عنها بالإنجليزية أيضاً، وبدأت المناقشة فتحدث المشرف بالعربية، وناقش أحد الأعضاء الطالبة بالإنجليزية، وناقش العضو الآخر الطالبة بالعربية، وكانت الطالبة تردّ وتناقش بالإنجليزية، وبالعربية في لغة مختلطة كاختلاط الرقع في الثوب المهلهل، وذلك في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية العريقة. ولو أن هذا الموضوع كان مطروحاً بجامعة دمشق لكتب بالعربية، ولنوقش بالعربية دون أدنى صعوبة في الأداء أو في المصطلحات». (١٣)

ولم يكتف الدكتور شاهين بوصف ما جرى في مناقشة هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية فقط، وإنما تابع كلامه قائلاً: «لنقلها صراحة ودون موارد: إن اللغة العربية غير عاجزة، وإنما العاجز بعض بنيتها سواء أكان

(١٢) الدكتور عبد الصبور شاهين- ديوجين مصباح الفكر- العدد الرابع والثلاثون- السنة العاشرة ١٩٧٦ ص ١٠.
(١٣) المرجع السابق ص ١١.

العجز من النوع الثقافي المتمثل في ضعف إمام الأساتذة باللغة العربية ومصطلحاتها، أم كان من النوع النفسي إذا افترضنا فيهم القدرة على استعمال اللغة، ولكنهم يُجمون عن خوض التجربة لفقر في الإحساس بالكرامة القومية، ذلك الإحساس الذي يدفع الجندي الأمين إلى اقتحام الأهوال، وقد كان خليقاً أن يدفع هؤلاء الأساتذة إلى صنع المحال». (١٤)

وإذا كان الدكتور شاهين قد افترض القدرة لدى أساتذة الجامعة على استعمال اللغة، فإن الواقع يدل على ضعف القدرة لديهم في الاستعمال الصحيح للغة.

وإذا كان مستهجنًا أن يرتكب المعلم - مهما يكن تخصصه - الأخطاء اللغوية في محادثته وتعبيره الشفاهي، وفي أثناء شرح دروسه، فإن الاستهجان يكون أشدَّ وأمرَّ إذا كان الخطأ في كتابته، ويكون الأمر أقسى إذا كان مرتكب الخطأ أستاذًا جامعيًا، وردت أخطاؤه في إهداء كتابه الذي كان يدرّس في إحدى كليات الهندسة، وقد جاء هذا الإهداء على النحو الآتي: «وأهدي هذا العمل المتواضع إلى الذين يعرفون معنى العطاء والتضحية والدي والدي ومن تشبه بهم، وإلى الذين يعرفون الحق وبناصروه، وللقراء المعذرة لأنهم كانوا ينتظروا أكثر مما قدّم». (١٥)

ولقد حضرت ندوة في الكويت عنوانها «محنة اللغة العربية» في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي برفقة صديقي المرحوم الدكتور صدقي حمدي، الشاعر المتخصص في التاريخ، وشارك فيها كل من رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ومدرس مادة النحو في الجامعة، والموجه الأول للغة العربية في وزارة التربية، فما كان من رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة إلا أن ارتكب أخطاء لغوية في أثناء حديثه، في الوقت الذي تحدّث فيه مدرس مادة النحو بالعامية وباللهجة المصرية، ووحده المفتش الأول للغة العربية في وزارة التربية تحدّث بالعربية الفصيحة، فقلت لصديقي الدكتور صدقي رحمه الله: «ما كنت أعلم

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) الدكتور محمود أحمد السنيد - تعليم اللغة بين الواقع والطموح - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨ ص ٢٠٨.

أن اللغة العربية في محنة حتى حضرت هذه الندوة ذات العنوان «محنة اللغة العربية»، وفعالاً
لقد كان ممثلو الجامعة في تلك الندوة وسائل إيضاح على محنة اللغة العربية ويا للأسف!
والمعلمون في الدول المتقدمة يستخدمون اللغة السليمة في شرح دروسهم مهما تك
تخصصاتهم، ويحاسبون متعلميهم على ارتكاب الأخطاء اللغوية، فمعلم الرياضيات في
فرنسا عندما يخطئ الطالب خطأ لغوياً في أثناء حل المسألة الرياضية تحمر وجنتاه، ويتطير
الشرر من عينيه، ويقول له: «إن خطأك اللغوي أدهى وأمر من الخطأ في حل المسألة
الرياضية»⁽¹⁶⁾، كما أن المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية في بريطانيا أصدر قراراً
يقضي بأن على كل من يود أن يكون مدرساً فعليه أن يكون مدرساً للغة الأم أولاً مهما يك
تخصصه.

أما في ميدان تعليم لغتنا العربية فلا يلتفت إلى ذلك في الأعم الأغلب، لا بل وصل
إهمال ذلك الأمر إلى مدرس الأدب بحجة أن مدرس النحو هو المسؤول عن تصحيح
الأخطاء اللغوية، ولا علاقة لمدرس الأدب بذلك على حدّ زعمه.

(16) Pierre Clarac- L' enseignement du français- presse universitaires de France-
Paris 1969.

خامساً - من أسباب تدني مستوى الأداء

ترجع أسباب تدني مستوى الأداء إلى عوامل عدة منها:

١ - القصور في إعداد المعلمين في التعليم العام والمدرسين في التعليم العالي:

غني عن البيان أن نجاح العملية التعليمية التعلمية يرجع إلى كفاية المعلمين، فالمعلم الكفي المعدّ إعداداً تخصصياً وتربوياً يسهم أيما إسهام في إكساب متعلميه المهارات اللغوية، وقد قيل: «أعطني معلماً جيّداً أعطك طالباً جيّداً»، وقد أشرنا إلى الشكوى من الأداء المتدني لمعلمي التعليم العام، وأداء مدرسي التعليم العالي، وقد انطلقت هذه الشكوى من أماكن كثيرة على نطاق الساحة العربية.

وها هي ذي الدكتورة «نعيمة عيد» تقول في صدد حديثها عن إعداد المعلم في جمهورية مصر العربية «يجري إعداد المعلم في جمهورية مصر العربية سواء في كليات الآداب أو في كليات التربية على أساس توجيه العناية الأولى لآداب اللغة، وليس اللغة نفسها، إذ يركز على الشعر والنثر والآداب، وتغفل المحادثة والتعبير الشفاهي، ونحن لا ننكر أبداً أهمية هذه الجوانب اللغوية في دراسة المعلم، ولكن في الوقت نفسه، يجب أن نقر بأن الحديث هو أهم عامل في العملية التعليمية، ومع ذلك تتجاهله تلك المعاهد، والنتيجة الحتمية أن يتخرج مدرسون يحفظون قصاصات من تاريخ اللغة وأدبها، ولكنهم لا يحسنون استخدامها». (١٧)

٢ - القصور في بناء المناهج الوظيفية:

ثمة أركان أساسية في بناء المناهج الوظيفية، ولا يعدّ المنهج وظيفياً إلا إذا كان ذا نفعية اجتماعية يؤدي إلى إكساب المتعلم المهارات التي تساعد على تلبية حاجاته، وتنمية ميوله واهتماماته، وتيسر له تفاعله مع أبناء مجتمعه ومواكبة روح عصره. ومن هنا ترى التربية المعاصرة أن بناء المنهج الفعّال يتوقف على توفر أساسيات المادة أولاً أي مفاتيحها، ويعرف

(١٧) الدكتورة نعيمة عيد- حلقة تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام والفني في البلاد العربية- دمشق ١٩٧٤ ص ٥٤.

ذلك من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين، وهذه الأساسيات تعدّ ركناً واحداً في بناء المنهج. أما الأركان المتبقية فهي تعرّف متطلبات المتعلمين لتلبية حاجاتهم وإرضاء ميولهم واهتماماتهم، وتعرّف متطلبات المجتمع ومناشطه وفعالياته تلك التي يتفاعل معها المتعلمون، وتعرف روح العصر الذي يجيا المتعلمون تحت ظلاله.

فإذا أخذ القاسم المشترك لهذه الأركان كافة كان المنهج وظيفياً وفعالاً، أما إذا ركزنا على ركن واحد في منأى عن الأركان الأخرى كان المنهج قاصراً.

ومن الملاحظ أن ثمة قصوراً في مناهجنا عندما تقرر على المتعلمين مباحث لا تستخدم في الحياة، فترهق أذهان المتعلمين، ولا تلبي حاجاتهم، فيكروهون المادة، ويضيقون ذرعاً بمحتواها، ما دامت غير نابضة بالحياة.

ومن الملاحظ أن ثمة اهتماماً بالقضايا التاريخية والنظرية على حساب الأمور التطبيقية والعملية، ونجد ذلك في تدريس المادة النحوية إذ يضيع الوقت في التأويلات والتقديرات والمباحكات والاستثناءات على حساب الأمور الجوهرية في ممارسة اللغة، والتركيز على الأساسيات، والمفاتيح التي تساعد المتعلم على القراءة الصحيحة، والاستعمال السليم في تعبيره الشفاهي والكتابي، والفهم للمقروء، ولما يستمع إليه.

وإذا كان أرباب المنهج الوظيفي يرون أن ثمة نحواً يحتاج إليه المتعلم في مستقبل حياته ولا يعلم، وأن ثمة نحواً لا يحتاج إليه المتعلم، ولا يستعمله في مستقبل حياته، فهو غير أساسي، ولكنه يتعلمه، فإن نفرأ من المتخصصين في المادة النحوية يرون أن جميع المباحث النحوية أساسية، ويجب على المتعلمين أن يعرفوها كافة، وليس ثمة مجال لحذف أي منها، فالنحو في نظرهم غاية وليس وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، وطالما ألفينا النقاش بينهم حاداً، وتعصب كل واحد منهم لرأيه شديداً، «وهذا الخلاف في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها، وأكبر العقبات في تحصيلها بالوصول إلى ضوابط محدودة سليمة يسهل استخدامها، والاستعانة بها في التفاهم الكلامي والكتابي على وجه

محكم دقيق لا فوضى فيه ولا اضطراب شأن العلوم القاعدية المضبوطة التي تأخذ بيد صاحبها إلى غاياتها تنهض به في يسر وسهولة ودقة إلى حيث ينبغي منها^(١٨).

وهذا الرأي هو لعلم من أعلام النحو، إنه عباس حسن الذي يتابع كلامه قائلاً: «إنّ النحاة موزعون، كلُّ يرى الحق في جانبه، ويحكم على قرينه بالخطأ الصراخ، والمتعلمون والكاتبون والمتكلمون من بين هؤلاء وهؤلاء، حائرون لا تسعفهم ثقافتهم القائمة بتفهم هذا كله أو بعضه، ولا تتسع صدورهم لقليله، ولا تسمح لهم زحمة الأعمال، ومطالب العيش الملحة باحتمال هذا العبث من أجل ضبط كلمة أو إقامة جملة، وعندهم أن الوقوع في الخطأ على قبحة أهون شأنًا، وأيسر ضرراً من بذل الجهد المضني، وإضاعة الوقت في تلك التناقضات التي لم ينته فيها إلى رأي موحد أو مذهب متفق عليه^(١٩).

٣- تخلف طرائق التدريس:

وإذا كانت النظرة إلى محتويات المناهج البعيدة عن الحاجات والاهتمامات والميول والحياة النابضة هي المسؤولة عن تدني أداء المتعلمين، فإن ثمة نظرة أخرى توجهت إلى أن طرائق التدريس هي المسؤولة عن ذلك، ولا ترجع العوامل إلى المادة اللغوية، ولا إلى محتوياتها، وتعدد الآراء فيها، إذ إن أي لغة في العالم مهما تبلغ درجة تعقيدها وصعوبتها ممكنة التعلم والإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجعة لتعلمها واكتسابها، ولغتنا العربية غير مخدمومة تربوياً، وطرائق تعلمها متخلفة وغير علمية^(٢٠).

ولم تتحقق عملية الانتقال من التعليم إلى التعلم في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا على النحو المرغوب فيه، إذ ما يزال العبء ملقى على كاهل المعلمين في الأعم الأغلب على الرغم من أن العملية التعليمية التعلمية لا تعدُّ ناجحة إلا إذا كان ثمة انتقال من التحفيز والتسميع إلى التمهير، وإكساب المتعلمين المهارات والكفايات التي تساعدهم على التفاعل مع مجتمعهم وحياتهم، إذ ما يزال التلقين سائداً، وما يزال السؤال:

(١٨) عباس حسن- اللغة والنحو بين القديم والحديث- دار المعارف- القاهرة ١٩٦٦ ص ٨١.

(١٩) المرجع السابق.

(٢٠) الدكتور حسام الخطيب- اتحاد المعلمين العرب- مرجع سابق ص ٥٥٩.

ماذا نعلم؟ يركز عليه أكثر مما يركز على: كيف نعلم؟

وما تزال عملية التعلم الذاتي، واكتساب مهاراته قاصرة عن تحقيق مرادها.

وهذه الطرائق التقليدية تعود الطالب المحاكاة العمياء، والاعتماد على غيره، وتقتل فيه روح الابتكار والإبداع، كما أن المعلومات التي تقدّم في ظلّها تبقى مزعزعة في الذهن نظراً لأن المتعلمين لم يبذلوا جهداً في سبيل الوصول إليها، وإنما كانوا سلبين، وهذا يؤدي إلى عدم رسوخها في الأذهان بسبب وأد روح الاستنتاج، وحسن التعليل، ودقة الفهم، والجنوح إلى التعميم.^(٢١)

أضف إلى ذلك كله القصور الواضح في استخدام وسائل التقنية المعاصرة في العملية التعليمية التعليمية عامة، وفي تعليم اللغة العربية خاصة، خلافاً لما يراه المتعلمون في تعلم اللغات الأجنبية، وإذا كانت الصور ناطقة في كتب تعليم اللغات الأجنبية، فإنها باهتة في ميدان تعليم اللغة العربية.

ومن الملاحظ أننا نركز في طرائق تدريسنا على الجانب المكتوب من اللغة، ونهمل المحادثة والحوار، ومواقف التعبير الشفاهي الوظيفي من إلقاء الكلمات في الأمسيات، وتوجيه التعليمات والإرشادات، وإدارة محاضر الجلسات... الخ.

٤ - القصور في أساليب تقويم الأداء:

إذا كانت الأهداف التي نبتغيها من تعليم اللغة وتعلمها أن يستخدم المتعلمون اللغة استعمالاً ناجحاً محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة، على أن يكون هذا الاستعمال متسماً بالإتقان، ولن يحصل ذلك إلا باكتساب المهارات اللغوية، إذ ما المهارة إلا الأداء المتقن القائم على الفهم، وعلى السرعة، والاقتصاد في الوقت والمجهود، ولن تتكون المهارة لدى المتعلم إلا بالمران والممارسة، والتوجيه، وتصويب الأخطاء، وتعزيز الاستجابات الصحيحة، وتوفير القدوة الحسنة، إن من المعلمين، أو من بعض الأقران المجلّين والمتفوقين.

(٢١) الدكتور محمود أحمد السيّد- تعليم اللغة بين الواقع والطموح- مرجع سابق ص ٢٠٢.

ومن الثغرات في مجال تعليم اللغة وتعلمها، والخوّل دون تكوّن المهارة لدى المتعلمين:

- ١- غياب القدوة الحسنة في الأداء اللغوي.
- ٢- الانتقال من المعرفة إلى العادة من غير المرور بالمهارة، إذ إن العادة لا تتكون لدى المتعلم إلا بعد المرور باكتساب المهارة.
- ٣- غياب الأهداف أحياناً، والنأي عن الأهداف السلوكية، ولا يمكن تعرف مدى تحقيق الهدف إلا إذا كان هذا الهدف مصوغاً سلوكياً، يمكن قياسه.
- ٤- اللجوء إلى القراءة الصامتة ما دام المعلمون يجدون راحة في تكليف المتعلمين بها، وغني عن البيان أن القراءة الصامتة لا تكشف عن الأخطاء اللغوية التي يرتكبها المتعلمون، وإنما القراءة الجهرية هي التي تكشف عن الأخطاء، ولا بد من التركيز عليها في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وقد طلبت لجنة التمكين للغة العربية إلى وزارة التربية أن تكون نسبة القراءة الجهرية في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي ٧٥٪، وفي الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي ٥٠٪، وفي مرحلة التعليم الثانوي ٢٥٪، في حين تكون القراءة الصامتة ٢٥٪ في الحلقة الأولى، و ٥٠٪ في الحلقة الثانية، و ٧٥٪ في المرحلة الثانوية، وقامت وزارة التربية مشكورة بالتعميم على المدارس لإنفاذ هذه النسب في ضوء طلب لجنة التمكين للغة العربية.
- ٥- التركيز في قياس الأداء على المستوى الأول من مستويات المعرفة ألا وهو الحفظ والتذكر والاسترجاع. أما المستويات العليا من حيث الفهم والربط والاستنتاج والموازنة والتحليل والتركيب والتطبيق والتفاعل والحكم، فنادرًا ما تعرض لها أساليب التقويم.

وهذا القصور نجده في جميع المراحل التعليمية، ففي دراسة «تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي»^(٢٢) نجد أن أعلى نسبة مئوية وردت في أسئلة القواعد النحوية كانت لمصلحة المستوى الأول من مستويات المعرفة: عرّف، عدّد، اذكر.. وهذا ما نلاحظه أيضاً في أسئلة الامتحانات الجامعية إذ كانت نسبة هذا المستوى تصل إلى ٧٠٪. أما المستويات العليا، فنسبتها متدنية في التعليل، والضبط بالشكل، والتطبيق والإعراب.

ومن الملاحظ أيضاً أن الأسئلة في امتحانات التعليم الجامعي محدودة، وغير شاملة، ويرد أحياناً سؤال خصص له ثمانون درجة من أصل مئة، ونادراً ما يبصر الطالب بأخطائه في الامتحانات، فيعمل على تلافيها، إذ إن معظم الأنظمة الجامعية تتشدد في اطلاع الطالب ورقة امتحانه بعد تصحيحها.

٦- التركيز في قياس أداء المتعلم على الجانب المكتوب من اللغة، وإهمال قياس المحادثة، حتى إن بعض الكليات ألغت الامتحان الشفهي، وغني عن البيان أن الاقتصار على الامتحانات الكتابية يغفل تقويم بعض المهارات اللغوية التي لا تكشف عنها الامتحانات الكتابية وحدها من مثل الضبط بالشكل، والتفاعل مع المقروء، وتلوين القراءة الجهرية بحسب المواقف... الخ.

٧- القصور في التركيز على امتحانات الأتمتة في قياس الأداء اللغوي، واستبعاد الأسئلة المقالية، وإذا كانت الاختبارات الموضوعية يمكن تطبيقها في الامتحانات اللغوية في مجال القواعد النحوية والصرفية، ومعاني الكلمات، وتحديد الفكر الفرعية والأساسية، ووضع العناوين، واستخراج المغزى، وتعرف ضروب البلاغة، وتسمية البحور الشعرية... الخ، فإن قياس التعبير لا تقيسه الاختبارات الموضوعية المقننة، ولا بد من اعتماد أسئلة المقال في تعرف مستويات تعبير المتعلمين.

(٢٢) الدكتور محمود أحمد السيد- تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٨٧.

أما التذوق الأدبي فقد أمكن قياسه موضوعياً مع أن الأمر الشائع أن التذوق لا يمكن قياسه لأن لكل امرئ رؤيته في النصوص الأدبية شعرية كانت أو نثرية، ولكن ثمة دراسة لقياس التذوق الأدبي موضوعياً، ألا وهي دراسة الدكتور المرحوم الصديق الأستاذ الدكتور رشدي طعيمة، وعنوان رسالته «وضع قياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية (فن الشعر)». (٢٣)

وإذا كانت الاختبارات الموضوعية من الأهمية بمكان لأنها تعطي لكل إنسان حقه، وتحدد مستواه في منأى عن أي تحيز أو مجاملة، فإن مستوى المتعلم في تعبيره الكتابي أو الشفاهي لا يمكن الوقوف عليه إلا في ضوء أسلوبه ومناقشته وظهور شخصيته... الخ. ومن هنا فإن أسئلة المقال ضرورية في قياس مستويات الأداء اللغوي.

صوى على درب النهوض بالأداء اللغوي

ثمة صوى لابد من أخذها بالحسبان والاهتمام بغية النهوض بالأداء اللغوي، وذلك بعد أن تعرفنا القصور، والتدني في مستوى هذا الأداء، ومن هذه الصوى:

١ - إعداد المعلمين جميعاً والمدرسين كافة لتعليم اللغة الأم:

ويؤخذ هذا الإعداد في أثناء الدراسة من جهة، وفي عقد الدورات التدريبية المستمرة في أثناء العمل بحيث نجمع بين التأهيل والتدريب، آخذين بالحسبان أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، فهي مسؤولية المعلمين والمدرسين كافة، إذ إنهم مسؤولون عن تصحيح اعوجاج الألسنة، وزلل الأقلام، وتعويد المتعلمين الوضوح، والدقة في التعبير، وحسن تختيار الكلمات الدالة، والمعبرة عن الفكرة المراد توضيحها، وتعريف بساطة الكلمات، والتعبيرات التي يستعملونها ليعبروا بوساطتها عن فكرهم كتابياً وشفاهياً بكل دقة ونظام ووضوح، لأن من لا يحسن التعبير لا يتمكن من إيفهام الآخرين، وقد قال المفكر الفرنسي - «بوالو»: «لكي تفهم جيداً يجب أن تعبر بوضوح». ومن الواضح أن المرء لا يمكن أن يعبر

(٢٣) الدكتور رشدي أحمد طعيمة- وضع قياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية «فن الشعر»- رسالة ماجستير- كلية التربية- جامعة عين شمس ١٩٧١.

بوضوح إلا عندما تكون الفكرة واضحة في ذهنه، لأن وضوح الفكرة يؤدي إلى وضوح التعبير عنها، وفهم الآخرين لها. (٢٤)

وإذا كانت المهمة الأساسية لمدرسي العلوم تعليم الطالب الدقة والوضوح، كان عليهم أن يكونوا متشددين في تتبع الغموض والخطأ في لغة المتعلمين، إذ من المعروف أن الأخطاء التي يرتكبها الطالب في الإملاء والقواعد، أو في غموض الفكر وتشويشها هي الأخطاء نفسها التي تتكرر على لسانه وقلمه في التاريخ والتربية والكيمياء والفيزياء والرياضيات.. الخ.

ومن هنا كان الارتقاء بلغة الطالب هي مسؤولية المدرسين جميعاً، والمعلمين جميعاً، على أن يكونوا متقنين أساسيات لغتهم حتى يتمكنوا من تصحيح اللغة والنهوض بها، ويجيء عقد الدورات التدريبية، والتطوير المهني لأعضاء هيئات التدريس في جامعات الوطن العربي من الأهمية بمكان.

ومن الاتجاهات العالمية في تحديد خصائص المعلم الناجح الفعّال أن يصار إلى التركيز على ثلاث مجموعات في هذا المجال: (٢٥)

المجموعة الأولى: المكتسبات العلمية والتربوية العامة

- التأهيل التربوي الجيد.
- المعرفة ببادء التخصص وإتقانها.
- الخبرة في مجال التعليم.
- الطلاقة اللغوية.

المجموعة الثانية: الصفات الشخصية وعلاقة المعلم بمتعلميه

- الرعاية والاهتمام بالمتعلمين.

(٢٤) الدكتور محمود السيد- في قضايا اللغة التربوية- وكالة المطبوعات بالكويت ودار القلم بلبنان- ١٩٧٨ ص ٣٠.

(25) Jane H Stronge Qualiteés of electives teachers 2007, 2d edition ASCD (1) Publication USA.

- العدالة والاحترام.
- التفاعل الاجتماعي مع المتعلمين.
- الحماسة والدافعية للتعلم.
- الموقف من مهنة التعليم.
- ممارسة التأهيل والمراجعة المستمرة.

المجموعة الثالثة:

- القدرة العالية على التنظيم.
- الاستجابة الحكيمة لسلوك المتعلمين.
- التركيز على التعلم.
- استثمار معظم الوقت في التعلم.
- التخطيط والإعداد للتدريس.
- التنوع في استخدام استراتيجيات التعليم.
- الوعي بالفروق الفردية بين مستويات المتعلمين.
- التفوق في التواصل مع المتعلمين وتوصيل المعلومات إليهم.
- فهم الطبيعة المعقدة للعملية التعليمية التعليمية.
- الإعداد الجيد للواجبات المنزلية.
- التغذية الراجعة الدقيقة والمفيدة.
- التنوع في أدوات التقويم.

٢- اعتماد مفهوم النظام System في تعليم اللغة وتعلمها:

كانت التربية التقليدية تمزق اللغة في العملية التعليمية التعليمية، فثمة فرع للقواعد، وفرع للقراءة، وحصّة للإملاء، وحصّة للقراءة، وحصّة للتعبير.. الخ. أما التربية المعاصرة فتنظر إلى اللغة على أنها نظام، والنظام يشتمل على عدة مكونات تتبادل التأثير والتأثر فيما

بينها بحيث أن كلاً منها يؤثر في غيره ويتأثر به، وثمة عوامل خارجية تؤثر في هذه المكونات الداخلية.

وفي تعليم اللغة وتعلمها ينبغي لنا أن ننظر نظرة شمولية إلى جميع هذه المكونات في إطار من الوحدة والتكامل، وما دامت اللغة تحظى بالاهتمام من علماء متعددي الاختصاصات من بينهم عالم وظائف الأعضاء، وعالم الصوتيات، وعالم الطبيعة، والمهندس الكهربائي المختص بوسائل التواصل، والمعني بتحويل الأمواج الصوتية إلى أمواج كهربائية، وعالم النفس، والطبيب المختص بالجهاز العصبي، وعالم الرياضيات، وعالم الاجتماع، والمتخصص بالتربية...

ومن هنا كانت معطيات هذه الاختصاصات كافة تصبُّ في ميدان تعليم اللغة وتعلمها في ضوء مفهوم النظام، فتعليم الأدب لم يعد مقتصرًا على الشعر والنثر الفني، وإنما يشمل الأخذ من كل علم بطرف، وليس وقفًا على دواوين الشعر، وكتب النثر الفني، والأدب واسع سعة الحياة، وهو للحياة لا للمجتمع فقط، ولفهمه لا بد من الاستعانة بمناهج البحث العلمي، ونظريات علم الاجتماع، والتحليل النفسي، والانفتاح على ميادين المعرفة ذات الصلة باللغة والأدب ما دامت اللغة هي مركز الدراسات الإنسانية.

وفي إعداد مدرسي الأدب وتأهيلهم ينبغي ألا يقتصر هذا الإعداد، وذلك التأهيل على المواد الأدبية، والإنسانية، وإنما عليه أن يدرس العلوم الطبيعية، والكيمياء، وقوانين السكون، والرياضة... الخ إلى جانب الدراسات العلمية الإنسانية من اجتماعية، ونفسية، وعقيدية... الخ.

وتعليم النحو لم يعد مقتصرًا على ضبط أواخر الكلمات، وإنما اتسع ليشمل بنية الكلمة بما يطلق عليه الصرف، ثم ازداد اتساعًا في مفهومه الحديث ليشمل ضبط أواخر الكلام، والبنية الداخلية للكلمة، والتراكيب، وبنى الجمل الفرعية، والأساسية، والأصوات، والأداء في نطق الجملة والمعنى، ذلك لأن تغيير الحركات الإعرابية، والصيغ، والأبنية،

والأصوات يؤدي ذلك كله إلى تغيير في المعنى، وهذا ما دعا إلى أن يدرّس علم المعاني في النحو لا في البلاغة، كما دعا إلى ذلك المرحوم الأستاذ الدكتور تمام حسان. (٢٦)

وتعليم النحو يجري من خلال النصوص، إذ إن النص تعلّم من خلاله مهارات اللغة الأربعة الاستماع، والمحادثة، والحوار، والقراءة، والتعبير، والتذوق الأدبي.

٣- تطوير طرائق التدريس:

سبقت الإشارة إلى ضرورة الانتقال في العملية التعليمية التعلمية من التعليم إلى التعلم، وإكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي في منأى عن الطرائق الإلقائية والتلقينية، إذ إن تعويد المتعلمين على البحث عن مصادر التعلم المتعددة في عصر العلوم والتقانة بات من الأهمية بمكان ليكونوا إيجابيين، وفعّالين لا سلبيين، ومنفعلين، إذ إن الطريقة التنقيبية في العملية التعليمية التعلمية، وتوفير البرامج التفاعلية في ظلال التدفق المعرفي، وتنوع مصادر التعلم، كل ذلك يعد من مسؤوليات المعلمين، ومدرسي التعليم العالي، على أن تركز أدوارهم على تهيئة البيئة، والظروف المناسبة أمام الدارس لكي يقوم بالدور الأساسي في تعليم ذاته، ذلك لأن عصر التدفق المعرفي، والانتشار الثقافي الخاطف يفرض تبني مبدأ التعلم الذاتي الذي هو أساسي للتعلم المستمر مدى الحياة، مواكبة لروح العصر، وانسجاماً مع متطلباته.

ولما كان العصر الذي نحيا تحت ظلاله هو عصر العلوم والتقانة كان على المعلمين في مراحل التعليم العام، وعلى أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات أن يستعملوا وسائل الإيضاح، وأجهزة التقانة الحديثة في تعليم اللغة وتعلمها، لأن لها دوراً كبيراً في النهوض باللغة والارتقاء بها، إذ إنها تقرّب المفاهيم، وتربط بين الرمز والواقع، وتنقل الواقع مصوراً، أو مسموعاً، أو ملموساً، وإذا ربط المدرس بين اللغة والواقع في التعليم كان أقدر على تربية مشاعر طلابه، وصقلها في جو من الصدق والأمانة.

(٢٦) الدكتور محمود أحمد السيد- طرائق تدريس اللغة العربية ٢- منشورات جامعة دمشق- كلية التربية ٢٠١٧ ص ٣٨.

ويحتاج المعلمون والمدرسون في أثناء تعليمهم إلى وسائل تعليمية عدة مساعدة من المراجع والمصادر، والمجلات والصحف، والوثائق، والسجلات، والصور المتحركة، واللوحات المصورة، والتسجيلات الصوتية، والرسوم، والأشكال، والشرائح، والشفافيات، والنماذج، والمجسمات... الخ.

ويحتاجون أيضاً إلى توظيف أجهزة الحاسوب، والشابكة، والبريد الإلكتروني، والمسجلات، والمخابر اللغوية في عملهم التعليمي التعليمي، بحيث تكون البرامج التي يضعونها تفاعلية ترسخ مهارات التعلم الذاتي لدى المتعلمين، وتيسير العملية التعليمية التعليمية عن بعد، وها هي ذي الجامعة الافتراضية خير دليل على الإسهام في تحقيق الأهداف المرسومة للتعليم عن بعد بواسطة الأجهزة التقانية الحديثة، وغدا دور المعلم مسرراً، وموجهاً للتعليم، وظهر مصطلح تقانة التعليم، أو تقنيات التعليم بعد ازدهار حركة الأهداف السلوكية، والتعليم المبرمج، واستخدام مفهوم أسلوب النظم للمساعدة على تنظيم العملية التعليمية التعليمية، ولكنه مفهوم شامل، ومتكامل، وتتبادل مكوناته التأثير والتأثر فيما بينها في ضوء المفهوم المنظومي. (٢٧)

ومع ظهور التعليم المبرمج، والتعلم الذاتي تعددت الوسائل التقانية من حواسيب، ومختبرات لغوية، وشابكة (انترنت)، وناسوخ، ورزم تعليمية، وفيديو تفاعلي، ونشر- الكتروني... الخ.

ويتبوأ التعليم الإلكتروني مكانة كبيرة في الحياة المعاصرة، لأنه يستخدم تقنيات المعلومات، والشابكة، والحاسوب في تدعيم العملية التعليمية التعليمية، وبعد أن كان ينظر إلى التقانة على أنها مجموعة من الوسائل، والأدوات التي يستعان بها في العملية التعليمية التعليمية، أضحى ينظر إليها على أنها قلب هذه العملية، وأنها تعمل على تطوير هذه العملية على أساس من التصميم المدروس الذي تخضع له كل خطوة من الخطوات المؤدية إلى تحقيق

(٢٧) الدكتور محمود أحمد السيد- قضايا راهنة للغة العربية- الهيئة العامة السورية للكتاب
بوزارة الثقافة- دمشق ٢٠١٦ ص ١٥٣.

الأهداف المرجوة، بحيث تكون هذه الوسائل والطرائق المصاحبة لها متمشية مع المتعلمين، وعاملة على الوصول إلى الأهداف بأيسر وقت، وأقل جهد.

وغني عن البيان أن الوسائل تجذب انتباه المتعلمين، وتجعلهم يفعلون بالخبرة، ويتفاعلون معها، وهي تخاطب الحواس مما يزيد قدرة المتعلمين على التفكير، وحل المشكلات، والربط بين الكلمات، والأشياء، والمواقف الجديدة، وهذا يكون معيناً ثراً للتعبير اللغوي فيما بعد، كما أنها تتغلب على الهدر في الإنفاق، والوقت، والجهد المبذول في الطرائق التقليدية. (٢٨)

وتجدر الإشارة إلى أن التعليم الالكتروني لا يلغي دور المعلم، بل على العكس يعزز دوره، ويجعله أكثر فعالية، واقتداراً في المواقف التعليمية التعليمية «إذ إنه يسهم في تنمية التفكير، ويساعد المتعلمين على الاستقلالية، والاعتماد على النفس، ويوفر التعليم في أي وقت، وأي مكان وفقاً لقدرة المتعلم على التحصيل، ويساعد المتعلم على الإدلاء برأيه في أي وقت، ودون حرج، ويزيد من فعاليته وحواره ومناقشته». (٢٩)

٤- تنوع أساليب التقويم:

لما كان التقويم ركناً أساسياً في المنهج التربوي، وكان تطوير المناهج وتحديثها يقتضي تطوير جميع أركانه، تطلب ذلك تنوع أساليب التقويم، وعودة الامتحانات الشفهية إلى تقويم الأداء، وعدم الاقتصار في التقويم على المستوى الأول من مستويات المعرفة، بل أن يشمل التقويم أيضاً الفهم، والشرح، والتحليل، والتعليل، والاستنتاج، والتطبيق، والموازنة، والنقد، وإبداء وجهات النظر... الخ.

ويقتضي تطوير أنواع التقويم عودة الأسئلة المقالية إلى امتحانات اللغة العربية، وعدم الاقتصار على الأسئلة المؤتممة.

(٢٨) المرجع السابق ص ١٦١.

(٢٩) المرجع السابق ص ١٩٠.

تلك هي بعض صوى على دروب النهوض بالواقع اللغوي والارتقاء به، وآمل أن ترى هذه الصوى التنفيذ الجاد، وألا تكون على غرار أخوات لها سبقت على النحو الذي أشار إليه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين عندما قال:

«ما أكثر ما نتحدث عن هذه اللغة العربية الفصحى، وما أكثر ما نعلن اعتزازنا بها، واعتدادنا بتراثها، وحرصنا عليها، وعلى تراثها العظيم، ويقيننا أنها أساس وحدتنا، وهي العروة التي تجمع بين العرب على اختلاف أوطانهم وتباعدها، والعروة التي لا انفصام لها، نتحدث عن هذا فنكثر الحديث، ونقول في هذا فنطيل القول، ونملاً به أفواهنا، وتطمئن إليه قلوبنا، وتثور له نفوسنا، وإذا نحن نفيض له أملاً وإيماناً وثقة ويقيناً، فإذا فرغنا من هذا كله، وثبنا إلى نفوسنا، أو ثابت إلينا نفوسنا، وهدأت عنا الحماسة، اكتفينا بما قلنا، وبما سمعنا، وبما صنفنا، وبما صحنا، ثم لم نكد نصنع شيئاً»^(٣٠).

رحمك الله يا عميدنا الكبير، فلقد صورت حالنا في ندواتنا، ومؤتمراتنا، وكان تصويرك بليغاً، ورحم الله أستاذنا المرحوم الفقيه التربوي الأستاذ الدكتور حامد عمّار الذي طالما ردّد: «ندوات ومؤتمرات، ولكنها قليلة البركات». آمل أن يكون في مؤتمرننا كل الخير، وأن تشق توصياتنا ومقترحاتنا طريقها إلى الإنفاذ، والله وليُّ التوفيق.

(٣٠) الدكتور طه حسين- يسروا النحو والكتابة- مجلة الآداب- السنة ٤ العدد ١١.

مصادر البحث ومراجعته

- ١- أمين الخولي- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية- معهد الدراسات العربية- القاهرة ١٩٥٨.
- ٢- الدكتور حسام الخطيب- اتحاد المعلمين العرب في مؤتمره التاسع بالخرطوم ١٩٧٦.
- ٣- الدكتور رشدي أحمد طعيمة- وضع قياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية- رسالة ماجستير- كلية التربية بجامعة عين شمس ١٩٧١.
- ٤- الدكتور طه حسين- في الأدب الجاهلي- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٣٨.
- ٥- الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»- لغتنا والحياة- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٧١.
- ٦- الدكتور عباس حسن- اللغة والنحو بين القديم والحديث- دار المعارف- القاهرة ١٩٧٦.
- ٧- الدكتور عبد الصبور شاهين- ديوجين مصباح الفكر- العدد الرابع والثلاثون- السنة العاشرة ١٩٧٦.
- ٨- الدكتور محمود أحمد السيّد- تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٨٧.
- ٩- الدكتور محمود أحمد السيّد- تعليم اللغة بين الواقع والطموح- دار طلاس- دمشق ١٩٨٨.
- ١٠- الدكتور محمود أحمد السيّد- طرائق تدريس اللغة العربية ٢- منشورات جامعة دمشق ٢٠١٧.
- ١١- الدكتور محمود السيّد- في الأداء اللغوي- وزارة الثقافة السورية دمشق ٢٠٠٥.

١٢- الدكتور محمود أحمد السيّد- في قضايا اللغة التربوية- وكالة المطبوعات بالكويت
و دار القلم بلبنان- ١٩٧٨

١٣- الدكتور محمود أحمد السيّد- قضايا راهنة للغة العربية- الهيئة العامة السورية
للكتاب بوزارة الثقافة- دمشق ٢٠١٦.

١٤- الدكتور مهدي المخزومي- نحو لغة عربية سليمة- وزارة الثقافة- العراق- بغداد
١٩٧٨.

١٥- الدكتورة نعيمة عيد- حلقة تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام والفني في البلاد
العربية- دمشق ١٩٧٤.

١٦- الدكتور هادي نهر- أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية- الجامعة التونسية-
تونس ١٩٧٨

- 17- Jane H Stronge Qualités of electives teachers 2007, 2d edition ASCD (1) Publication USA.
- 18- Pierre Clarac- L' enseignement du français- presse universitaires de France- Paris 1969.
- 19- R.L.Lyman. Summary of investigations relation to grammar language and composition supplementary. Education monographs u Chicagos- illinois P.13.